تجمعهم بهم وبها رابطة ما .

وعلى هذا ، جاءت دراسته من هذه الناحية دراسة علمية محضة لا مكان فيها لهوى في النفس، او لعاطفة عرقية ، او نزعة خاصة .

الاقوام التي أمت فلسطين (في قسمين) :

أولا : المستوطنون المستقرون : — وهم الذين خرجوا من شبه جزيرة العرب واستقروا في فلسطين — وأقدمهم العموريون حوالي عام (٣٥٠٠ ق.م) وأكثر ما استقروا في القسم الجبلي من فلسطين ، والكنعانيون حوالي عام (٢٥٠٠ ق.م) واستقر معظمهم في سهول وأغوار فلسطين ، واليبوسيون وهم بطن من الكنعانيين في القدس وما حولها. وقد تداخلت هجرات العموريين والكنعانيين الذين لم يغادروا فلسطين مطلقا — وهنا نجد تحيز المراجع الاجنبية تحيزا واضحا ، اذ لا نكاد نجد فيها ذكرا ولا ربطا لصلة الكنعانيين بالماضي والمستقبل — عكسها في ذلك عندما تتحدث عن العبرانيين فكأنهم فلسطين ، وكأنما فلسطين هم . وهجرة الكنعانيين الواسعة جعلتهم السكان الاساسيين في فلسطين حتى ان اقدم اسم عرفت به هو (ارض كنعان) . ويستشهد الكاتب بما يذكره المؤرخ اوريلي : (ان في حالة فلسطين ما يحمل على الاعتقاد بأن أكثرية الفلاحين الحاليين هم أحفاد من جاء قبل الاسرائيليين) . كما اثبتت الحفريات ان مساكن الكنعانيين تشبه الى حد بعيد مساكن عرب فلسطين في المدن والقرى اليوم . ثم جاء الآراميون فكانت هجرتهم متأخرة عن الكنعانيين وقد انبثق اسمهم من استيطانهم المرتفعات (آرام).

وبعدهم قدم العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي كموجة جديدة تميزت عن سابقاتها بدعوة دينية عالمية ، فأنهت الاحتلال الفارسي والروماني وحررت اهل البلاد الاصليين وهم ذوو قرباهم ، وبقي الكنعانيون يشكلون سواد سكان فلسطين باندماجهم بالعرب المسلمين .

ثانيا : الدخلاء الغزاة : وقد قدموا من جهات متعددة واحتلوا فلسطين أو جزءا منها ثم جلوا عنها — وهم : العبرانيون والفرس واليونان والرومان والصليبيون والاتراك وآخرهم البريطانيون ، واليوم الصهيونيون . ولن يكون مصيرهم خيرا من مصير من سبقهم .

السامية والساميون :

للمؤلف في كتابه هذا فضل كبير في جلاء كثير من الغموض الذي فرضه معظم المستشرقين في موضوع (السامية) و(الساميين) ، فقد قامت هذه التسمية في معظم نواحيها على بواعث عاطفية ، اذ ليس هناك أسس علمية لهذه التسمية . فهي تنسب الى (سام) أكبر أبناء (نوح) . ومن الثابت ان قصة نوح التوراتية لها سابقات في الاساطير السومرية . ولذا يرى المؤلف انه من الافضل استبدال كلمة (سامي) بـ « عربي » و(سامية) بـ « عروبة » و(الشعوب السامية) بـ « الشعوب العربية » . وعلى هذا يتوجب اهمال التسمية الاولى والتمسك بالثانية فهي أدق وأصح علميا ، اذ أن الموطن الاصلي لهذه الشعوب هي شبه جزيرة العرب ، سيما بعد أن أصبحت كلمة (السامية) ذات مدلول (يهودي) وليس الا وخاصة في أوروبا وأميركا .

العبرانيون — اصولهم وأوضاعهم العامة :

المنتشر في العالم اليوم، عن طريق المستشرقين، انهم (ساميون) وانهم من بني العمومة . ويوضح الكتاب أن أصولهم غير صافية ولا معلومة تماما فلا يمكن والحالة هذه ان يقرنوا مع الكنعانيين مثلا لان هؤلاء ذوو أصول عربية واضحة . وقد أصبح من الثابت اليوم بعد ظهور المكتشفات الحديثة ان جماعة (العبيرو) أي « العبرانيين » هم عبارة عن خليط من :

١ — الجنس السامي : وهي الجماعات التي قدمت من الشمال وصحراء سوريه ، ومصر بدليل ان قسما منهم يتميز بالانف الدقيق (السامي) .

٢ — الجنس الهندي الاوروبي : من الحثيين والحوريين وسواهم ، بدليل ان قسما منهم يتميز بالانف الضخم الاقنى (الجتي) .

وقد دلت الدراسات الحديثة والوثائق المكتشفة مؤخرا انهم ذوو أصول متنوعة جدا ومختلفة للغاية بحيث لا يمكن اطلاق اسم (الامة) عليهم ولا يمكن الاعتراف بهم كجماعة تنتسب الى جنس واحد . وحتى التوراة تصفهم دوما (بالغرباء) ولا تحدد لهم أصولا معروفة اذ تعمم ولا تخصص عندما تذكر (ان أصلهم من البرية) او من (الخلاء) او (القفر) . ويستشهد المؤلف بالاقوال التالية للثقاة من المؤرخين وعلماء الآثار في تبيان الوضع